

## تساؤلات عن احترافية الأطباء وأخلاقهم

### ملاك مكي



متواضع، أخلاقي، إنساني، مستمع، مسؤول، واثق في نفسه، محترم، متعاون مع الآخرين، موثوق به، عادل، صادق، رؤوف، متعاطف، كفوء، ملتزم، خبير.. تلك الصفات وغيرها ذكرها عدد من الأطباء من مختلف المؤسسات الصحية في لبنان كصفات أساسية يجب أن يتمتع بها الطبيب. شارك الأطباء في ورشة عمل في شأن الاحترافية الطبية، نهاري الجمعة والسبت الماضيين، من تنظيم «برنامج سلهم الحص للأخلاقيات الاحيائية والاحتراف» في «الجامعة الأميركية» بالتعاون مع «المجلس الوطني للممتحنين الطبيين NBME في الولايات المتحدة

### نظم «برنامج سليم الحص للأخلاقيات الاحيائية والاحتراف» ورشة عمل بهدف وضع ميثاق وطني في شأن احترافية الأطباء

الأميركية»، بغية وضع ميثاق وطني في شأن احترافية الأطباء. يعود مفهوم الاحترافية الطبية، وفق مديرة البرنامج الدكتورة تاليا عرواي، إلى القرن التاسع، إذ يعتبر الطبيب والفيلسوف العربي إسحاق بن علي الرهاوي أول من طرح الاحترافية عند الأطباء الذين يعتبرهم الرهاوي «حراس النفوس والأجساد».

تعرف عرواي الاحترافية، وفق تعريفات الكلية الملكية للأطباء في لندن في العام 2005، بالقيم والسلوكيات والعلاقات التي تعزز ثقة المجتمع بالأطباء، والتزام الأطباء بمعايير السلامة، الرأفة، الإيثار، التطور، التميز والعمل الجماعي.

في المقابل، تلحظ المواثيق الدولية عوامل عدّة تؤثر في احترافية الأطباء اليوم، ومنها: التطور التكنولوجي، قوى الأسواق التجارية، مشاكل تأمين الرعاية الصحية، العولمة والإرهاب البيولوجي. يقول الدكتور بيتر كاتسوفراكيس من «المجلس الوطني للممتحنين الطبيين» «إن التطور التكنولوجي يفرض على الأطباء، اليوم، تحديات مغايرة عن السابق. فعلى سبيل المثال، لم يعد الطبيب وحده مالك المعرفة، بل يمكن للمريض البحث عن المعلومات وطرح التساؤلات، ما يولد تحدياً في التواصل بين الأطباء والمرضى.

وتشير براونل أندرسون من المجلس إلى أن بعض الأطباء في العالم لا يجدون في المريض سوى داء أو

مرض يجب معالجته من دون معاملته كشخص له كرامة وحياة. تتنازع الأطباء في العالم، وفق الدكتور إيلي الشاعر من «جامعة أركنساس» الأميركية، قوتان: سلطة القوانين والآداب الطبية والمعايير الأخلاقية التي تضعها المؤسسات وتدافع عنها جمعيات حقوق المرضى من جهة، وضغوط إدارات المستشفيات، وإغراءات الشركات التجارية من جهة أخرى. أما في لبنان، فتواجه الاحترافية الطبية، وفق العميد المساعد في كلية الطب في «الجامعة الأميركية» الدكتور كمال بدر، تحديات عدة مثل تزعر المعايير الأخلاقية خلال الحرب وغزو الأموال قطاع الطب من خلال شركات التأمين وشركات الأدوية في مختلف أنحاء العالم. وتؤثر بعض النماذج المسيئة من الأطباء، الذين يرغبون في أن يجمعوا ثروات ضخمة، على الاحترافية الطبية، خصوصاً أن بعض تلاميذ كليات الطب يتأثرون بتلك النماذج المسيئة.

يذكر الأطباء المجتمعون بعض الحالات الطبية غير الاحترافية التي تحصل في لبنان، مثل عدم إيلاء بعض الأطباء الوقت الكافي للمرضى والإصغاء لهم، تعبئة بعض الطلاب المناوبين الملف الطبي للمريض من دون إجراء الفحوص اللازمة، عدم إظهار بعض تلاميذ كليات الطب الجدية اللازمة، إحداث الضجيج في أروقة المستشفى، إجراء فحوص غير ضرورية لكسب المال أو بسبب التعاقد مع أحد المختبرات الطبية والتواطؤ مع شركات الأدوية.

تشير الدكتورة خيرات حبال إلى فروق في المعاملة بين المرضى في بعض المستشفيات في لبنان نسبة إلى طبقاتهم الاجتماعية، فيحظى المريض الغني بالشروح الوافية والرعاية اللازمة التي يفتقر لها المرضى الآخرين. وتلفت الدكتورة ناتالي زغي إلى تراجع خفيف في الاحترافية عند الأطباء بسبب ضيق الوقت وضغوط العمل ورغبة بعض الأطباء في جني الأموال.

يشكل النظام الصحي في لبنان، وفق العميد المساعد في كلية الطب في «جامعة بيروت العربية» الدكتور محمد حوري، أحد العوامل التي تؤثر في احترافية العلاقة بين الطبيب والمريض، إذ لا تؤمن الجهات الرسمية التغطية الصحية الشاملة للمواطنين. يضيف حوري أن بعض الأطباء في لبنان، بالرغم من مستواهم العلمي الجيد، يظهرون معاملة غير احترافية مع المرضى، ولا يجدون في المريض سوى داء يجب معالجته من دون التعاطف معه ودعمه نفسياً ومعنوياً.

تلاحظ عراوي، ووفق بعض الدراسات العلمية، تسجيل شكاوى من جانب المرضى على سلوكيات بعض الأطباء في لبنان، إذ هناك أطباء محترفون وملتزمون بالمبادئ الأخلاقية وأطباء آخرون غير مهنيين. ما يوجب تعزيز الاحترافية الطبية من خلال خطوات عدة: تضمين امتحانات الدخول لكليات الطب مقابلات تقويمية لصفات المرشح (إنساني، أناني..). وليس الاعتماد على المهارات العلمية فحسب، تكريم المؤسسات الأطباء المحترفين واعتبارهم أمثلة للأجيال، مكافأة الأطباء، لا على عدد البحوث المنشورة فحسب بل على أسلوب تعاطيهم مع المرضى والزملاء.

تجد عراوي أن الطبيب هو المسؤول عن احترافيته، بالرغم من العوامل الضاغطة والمؤثرة. فليس العمل الطبي تقنياً فحسب بل هو إنساني بالدرجة الأولى.

في المقابل، يساهم رفع الوعي عند المرضى في شأن حقوقهم، وفق حوري، في تعزيز الاحترافية الطبية وصونها. ويؤكد الشاعر أن دعم حركات المرضى ورفع الوعي الاجتماعي وتعزيز القوانين التشريعية والإجراءات التنفيذية تساعد في حفظ حقوق المرضى والتزام الأطباء بالمعايير الاحترافية. وتكشف عراوي أن الميثاق الذي اتفق عليه الأطباء المجتمعون، سي طرح على «نقابة الأطباء» بهدف تعميمه على جميع الأطباء كميثاق أول للاحترافية الطبية في لبنان.

ملاك مكّي